من هؤلاء الشعوبية ولا اعدى على دينه ولا أشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم وتوقد نار الشنان في قلوبهم وغليان تلك المراجل الفائرة وتسعر تلك النيران المضطرمة ولو عرفوا أخلاق كل ملة وزي كل لغة وعللهم في اختلاف إشارتهم والاتهم وشمائلهم وهيآتهم وما علة كل شيء من ذلك ولم اختلقوه ولم تكلفوه لأراحوا أنفسهم ولخفت مؤونتهم على من خالطهم .

والدليل على ان أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم ومن معدن شريف ومن المواضع التي لا يعيبها الا جاهل ولا يعترض عليها الا معاند اتخاذ سليمان ابن داود صلوات ا تعالى وسلامه على نبينا وعليه العصا لخطبته وموعظته ولمقاماته وطول صلاته ولطول التلاوة والانتصاب فجعلها لتلك الخصال جامعة قال ا D وقوله الحق (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لوكان يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) والمنسأة هي العصا وقال ابو طالب حين قام بدم الرجل الذي ضرب زميله بالعصا فقتله حين تخاصما في حبل وتجاذبا .

(أمن أجل حبل لا أباك علوته ... بمنسأة قد جاء حبل وأحبل) .

وقال آخر .

(اذا دببت على المنساة من كبر ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل) .

قال ابو عثمان وإنما بدأنا بذكر سليمان على نبينا وE لأنه من أنبياء العجم والشعوبية اليهم أميل وعلى فضائلهم أحرص ولما أعطاهم ا اكثر وصفا وذكرا وقد جمع ا لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام ما عسى ان يفي ذلك بعلامات عدة من المرسلين وجماعة من النبيين قال ا تبارك وتعالى فيما يذكر في عصاه (ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من أرضكم بسحرهما) الى قوله (ولا يفلح الساحر حيث أتى) فلذلك قال الحسن بن هانىء في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه .

(فان تك من فرعون فيكم بقية ... فان عصا موسى بكف خصيب)